

مضمرة القول في رواية "حلم على الضفاف" لحسيبة
موساوي مقارنة تداولية

THE IMPLIED TELLING IN THE NOVEL OF "DREAM ON THE BANKS" by Hassiba

Moussaoui –A PRAGMATIC APPROACH-

خديجة بوخشة*1

جامعة أحمد زبانة غليزان (الجزائر)، البريد المهني khedidja.boukhecha@univ-relizane.dz

تاريخ النشر: 2022/09/18

تاريخ القبول: 2021/05/26

تاريخ الإرسال: 2021/05/03

ملخص:

تروم هذه الورقة البحثية مقارنة الخطاب الروائي وفق رؤية تداولية، فاخترنا رواية "حلم على الضفاف" للكاتبة الجزائرية حسيبة موساوي، ابتغاء الكشف عن مكونات الخطاب الخفية ومضامينها السردية من خلال تحديد مضمرة القول للوصول إلى تحديد المقصدية.

سنحاول اللوج إلى عوالم هذه الرواية للبحث في مختلف الآليات التواصلية الإقناعية التي اعتمدها الكاتبة في خطابها ، وذلك باستغلال إجراءات المنهج التداولي.

الكلمات المفتاحية:

تداولية؛ رواية؛ القول المضمرة ؛ الفعل الإنجازي؛ الحجاج.

ABSTRACT :

This research paper aims to approach narrative discourse according to a pragmatic vision. We chose the novel "A Dream on the Banks" written by Algerian author Hassiba Moussaoui, in order to uncover the intricacies of hidden discourse and its narrative content through identifying its implied telling in order to reach the intentionality.

We will try to access the worlds of this novel to look into the various persuasive communication mechanisms adopted by the author in her discourse by exploiting the procedures of the pragmatic method.

Keywords:

Pragmatic; Novel ; Implied saying ; Illocutionary act ; argumentation.

تهتم التداولية بدراسة علاقة العلامات اللغوية بمفسيها، إنها تدرس مقاصد الكلام في سياق محدد وكيفية تأثير السياق في القول بالتركيز على كل عناصر العملية التواصلية، لتحديد متضمناته القولية؛ أي الجوانب الخفية من الخطاب. فالتداولية تدرس «الدوافع النفسية للمرسل وردة فعل المرسل إليه والأنماط الاجتماعية للخطب، ومواضيع الخطب ويقابلها الهيئات التركيبية والدلالية، مع دراسة أفعال اللغة الإنجازية عند أوستين، وامتدت إلى شرط التأكيد للمقولة وللخطاب لتشمل شروط الحقيقة وتحليل المحادثة»¹.

وكثيرا ما يخالف المعنى المضمّر للقول معناه الحرفي في الخطاب اليومي المتداول، وقد يصعب تحديده من طرف المتخاطبين وهذا ما يؤدي إلى حدوث سوء التفاهم، ويزداد صعوبة في سائر أنواع الخطاب خاصة الأدبي منه، نسعى في هذا البحث إلى تحديد مضمرات القول في رواية "حلم على الضفاف" للكاتبة الجزائرية حسيبة موساوي" للكشف عن المعاني المتضمنة في خطابها ولفهم مقصديتها، لكن قبل هذا لا بد من تحديد مصطلحات البحث النظرية.

1- متضمنات القول: Les implicites تعدّ متضمنات القول مفهوما إجرائيا تداوليا لا

يمكن حصره في مفهوم واحد تتداخل معه مجموعة من المصطلحات التداولية: (المضمّر، الاستلزام، الاستدلال، الافتراض، التلميح، الفعل الكلامي غير المباشر...) لأنها تحيل على فهم الجانب الضمني من الكلام.

في المفهوم اللغوي نجد متضمنات القول مأخوذة من الفعل ضمّن، يقول ابن فارس(395هـ) :
 ضمن«هو جعل الشيء في شيء يحويه، من ذلك قولهم ضمننت [الشيء] إذا جعلته في وعائه»²
 فدّل المعنى هنا على الاحتواء.

ويقول ابن منظور(711هـ) :«...ضمّن الشيء في الشيء : أودعه إيّاه كما تودع الوعاء المتاع والميت القبر، وقد تضمنه هو... وكل شيء جعلته في وعاء فقد ضمنته إيّاه...»³ فمعنى ضمّن أودع أو أخفى.

أما في المفهوم الاصطلاحي فيتعلق مفهوم متضمنات القول بـ«رصد جملة من الظواهر المتعلقة بجوانب ضمنية وخفية من قوانين الخطاب، تحكمها ظروف الخطاب العامة كسياق الحال وغيره»⁴، بمعنى أنّ أيّ حديث أو حوار يدور بين شخصين أو أكثر، هناك جانب صريح وآخر ضمني وهذا الأخير يُفهم من خلال حيثيات الكلام.

يختلف تأويل كل قول حسب السياق الذي يرد فيه، والطبقات المقامية التي يُنجز ضمنها، لذلك فإنّ "أوركينيوني" Orecchioni تعرّف القول المضمر أو الضمني بأنه «كتلة المعلومات التي يمكن للخطاب أن يحتويها، ولكن تحقيقها في الواقع يبقى رهن خصوصيات سياق الحديث»⁵ فالقول المضمر هو معنى خفي متضمن في القول يُفسّر ضمن السياق الذي وُجد فيه، وقد يكون مخالفا تماما للمعنى الحرفي.

يؤدي السياق دورا بالغ الأهمية في الدراسات التداولية فهو يسهم في تحديد مضمرات القول، وتبيان مقاصد الخطاب التي لا تظهر من البنية السطحية للخطاب «فمقام التلطف يمثل حاملا نوعيا للكثير من مقاصد الخطاب»⁶ وترتبط المقاصد في حقيقة الأمر بمضامين الخطاب ومضمراته.

يطلق غرايس مصطلح الاستلزام للتعبير عن دلالة الأقوال التي تنأى عن قوانين مبدأ التعاون، وتثيره العلاقة بين القول والسياق، ويؤدي المجتمع دورا كبيرا في عملية التواصل كونه يسهم في فهم المعاني العرفية لأنّ: «الكلام لا يعني تعويض كل فكرة بكلمة، وإنما يعني أنّ إنشاء الكلام يتمّ انطلاقاً من تجربة تواصل»⁷. وهذا ما يجعلنا نُشير بالضرورة إلى العلاقات أو الشكل الذي يكون عليه التضمينات أو المضمرات في علاقة هي التضمين، لأنّ توظيف متضمنات القول يجعل المتلقي يفكر في الشيء غير المصرح به، فلا يتعامل مع ظاهر الكلمات ؛ بل يتساءل عن المقصد من هذه الكلمة أو تلك..

يرى غرايس أنّ المعنى المتواضع عليه يتطور انطلاقا من استدلال طبيعي يقوم على ثلاثة أفكار:⁸

1- أنّ المعنى المراد من القول هو في الغالب ضمني.

- 2- أنّ الوصول إلى المعنى يتم عن طريق حساب استدلالي تسييره عوامل تداولية مبنية على مبدأ التعاون الذي وضعه غرايس وقواعد أخرى مرتبطة بالجانب المعرفي والسياقي.
- 3- أن المعلومات السياقية ضرورية من أجل حساب ما هو ضمني.

و قد عرّف "غرايس" متضمنات القول بقوله: «أنّ بعض الأقوال التي تتأى عن شروط حقيقة للجملة يطلق عليها تضميناً»⁹ أو بمعنى آخر تُسمّى هذه العلاقة أيضاً بالمعاني الضمنية، ويمكن تحديدها من خلال طبيعة المحادثة أو الخطاب فكلّ المعاني المتطرّق إليها في الحوار هي مُسمّيات متعارف على مدلولاتها ف«هناك معاني ضمنية متعارضة يحددها حسب قول "غرايس، Grice" بالمعنى المتعارف للكلمات المستعملة»¹⁰ والمقصود أنّ كل الأحاديث المتداولة تخوض في معاني مُتعارف عليها أو تُعارف عليها أبناء المجتمع الواحد، فمثلا عندما تقول كلمة "مكتب" فالمتلقي أيضاً يعرف معنى هذه الكلمة، وهذا المعنى يحيل إلى تضمين صرفي أو معجمي وهذه العلاقة «تستند إلى اللّغة أو المعجم أي إلى الدلالات الصرفية المرتبطة بالكلمات»¹¹ وهذا معناه أنّ لكلّ جملة حوارية عدّة دلالات منها ما هو منطقي وحقيقي، ومنها ما هو خاطئ وغير معقول، وهذا مرتبط بطبيعة الحال المتكلم، فتأويل الكلام يكون على أساس النطق به.

وجد غرايس (1975 حتى 1979) وسبربر وولسن (1986 حتى 1989) ثلاثة أفكار أساسية في شرح الاختلاف بين المعنى الحرفي والمعنى التواصلي:

أ- المعنى التواصلي للملفوظ عامة يكون غير صريح.

ب- تلقي المعنى التواصلي يتم عن طريق عملية استدلالية.

ج- العملية الاستدلالية تحقق عن طريق قواعد تداولية (مبدأ التعاون، وحكم التخاطب لغرايس ومبدأ المناسبة "سبربر وولسن"¹²)

وتتشكل متضمنات القول من نمطين وهما الافتراض المسبق *Présupposition* والقول المضمّر *Les sous-entendus* :

1-1 الافتراض المسبق: وهو من أبرز مفاهيم التداولية ذا أهمية في كل تواصل لساني يعتمد على معطيات وافتراضات مُعترف بها وذلك لتحقيق النجاح في

عملية التواصل. فقد عرّفه الكثير من الدارسون منهم "ديكرو، Ducrot": «على أنه العنصر الدلالي الخاص بالقول أو تحويله إلى الاستفهام "هل"؟ أو نفي "لا"». ¹³ والافتراض المسبق هو «شيء يفترضه المتكلم يسبق التفوه بالكلام؛ أي أنّ الافتراض المسبق موجود عند المتكلمين وليس في الجمل أما الاستلزام فهو شيء ينبع منطقيا مما قيل في الكلام، أي أن الجمل هي التي تحتوي الاستلزام وليس المتكلمون» ¹⁴

ينطلق المتخاطبون من معطيات وافتراضات معترف بها ومتفق عليها بينهم؛ فالافتراض المسبق هو «الخلفية التواصلية الضرورية لتحقيق النجاح في عملية التواصل، وهي محتواة ضمن السياقات والبنى التركيبية العامة» ¹⁵.

ومعنى هذا ما يدور بين المتكلم و المتلقي من خطابات؛ أي أنّ السامع يكون قد سبق له ما ينوي أو ما يريد أن يقوله المتكلم حتى قبل أن يقوله أو يشير إليه فالافتراضات المسبقة «لا يُصرح بها المتكلمون وهي تشكّل خلفية التبليغ الضرورية» ¹⁶ يمكن تحديدها من خلال السياق.

ويرتبط الافتراض المسبق لمفهوم الاقتضاء في علم الدلالة ، وتعرفه أوركيني بأنه: «المعلومات وإن لم تكن مقررة جهرا ، إلا أنها تنتج تلقائيا من صياغة القول التي تكون مدونة فيه بشكل جوهري ، بغض النظر عن خصوصية النطاق التعبيري الأدائي» ¹⁷ فلنجاح الفعل التأثيري في الخطاب يجب أن يكون للمتلقى قدرة على تأويل القول، وأن يحمل المتكلم كلامه المعلومات الضرورية التي ترتبط بشروط نجاح الفعل.

والعملية التي يقصدها تقوم بين المتكلم والمتلقي هي معطيات وافتراضات التي تمثل أرضية التخاطب وخلفيته لإنجاح عملية التواصل أو رسالة التخاطب.

1-2 الأقوال المضمرّة: جاء في أساس البلاغة للزمخشري معنى كلمة أضمر: «ورجل ضمّر، مهضم البطن... وفي ضميري كذا، وأضمرت شيئا في قلبي وأضمرته البلاد إذا سافر سفرا بعيد فغيّبه» ¹⁸ فمعنى الإضمار هنا هو التغييب وعدم الظهور.

وفي لسان العرب : «فإنّ ذلك يضر في ما في نفسه... وأضرمت في نفسي شيئا: أخفيته... وأضرمته الأرض غيبته إما بموت أو بسفر»¹⁹ فجاءت معاني الإضرار هنا الإخفاء وعدم البوح والتغيب.

أما في الاصطلاح فتعتبر الأقوال المضمرة نمطا من أنماط متضمنات القول، بحيث ترتبط بوضعية الخطاب ومقامه على عكس الافتراض المسبق الذي يحدّد على أساس معطيات لغوية.

فالقول المضمّر لا يتحقّق في الواقع إلا وفق خصوصيات سياق الحديث، ومثال ذلك قول أحدهم:

(إنّ السماء ممطرة) ربما من خلال هذا السياق يحاول المتكلم:

- الإشارة إلى الإسراع حتى لا يفوته موعد العمل.

- أو لابدّ له من المكوث بالبيت.

- أو أنّه يشير إلى حمل المظلة معه....

وقائمة التأويلات كثيرة، وإذا حاولنا المقارنة بين متضمّنين الافتراض المسبق والقول المضمّر «فإنّ الافتراض المسبق وليد السياق الكلامي والثاني ملابسات الخطاب»²⁰، أي أنّ هذا النوع أو النمط يكون خاصا بالمتكلم، فهو على علاقة بأقواله ويُسْتنتج من خلال الخطاب ومغزى المتكلم منه؛ إذ يعني كل المعلومات المصاحبة للقول.

تقول "أوركيني" القول المضمّر: «هو كل المعلومات التي يمكن للكلام أن يحتويها ولكن تحقيقها في الواقع يبقى رهن السياق»²¹ وهذا معناه أنه يتضمن مختلف الاحتمالات التأويلية الواردة في القول.

سعت أوركيني إلى التمييز بين القول المضمّر والافتراض المسبق، فرأت أنّ الافتراض المسبق يتعلّق مباشرةً بالبني التركيبية العامة على عكس القول المضمّر الذي يتم استنتاجه انطلاقا من الملكة البلاغية التداولية - الموسوعة والمنطقية- وكذا المتكلم²² فهي تشير إلى طبيعة كل منهما

كالافتراض المسبق يمكن أن يحدّد في نفس الكلام ويعتبر التوتر الشائع بين المتكلمين على غرار القول المضمّر الذي ترى فيه مسؤولية المتلقي.

والقول المضمّر عبارة عن استنتاج «بما أنّ محلّ الخطاب شأنه في ذلك شأن المخاطب لا يملك طريقة مباشرة للوصول إلى المعنى المقصود من طرف المتكلم عند تلفظه بالقول، فهو في الغالب يحتاج إلى عملية الاستنتاج تُمكنه من الوصول إلى فهم المقولات»²³. فتأويل القول والكشف عن مقصديته يحتاج قراءة تحليلية ناقدة للقارئ وهي ليست بالعملية السهلة البسيطة.

وللقول المضمّر ميزتان هما:

أولاً أنّه غير مستقر أي أنّه يصعب تحديده .

ثانياً أنّ المتكلم يمكنه أن يتخفى وراء المعنى الحقيقي الذي يريده هروباً من ردة فعل المتلقي إذا كان قد انزعج إلى معنى آخر.²⁴ فمثلاً عندما تقول لصديقك " تحرّ الصدق " ربما قد ينزعج منك لاعتقاده بأنك تصفه بالكذب عندها قد تضطر إلى الاختفاء وراء المعنى الآخر، فتقول له لم أقصد هذا وإنما قصدت التأكد من صحة الخبر.

يرى طه عبد الرحمن أنّ: «الإضمار أن يكون حذفاً لما هو معلوم للمستدل فيستحق أن يُسأل عما أضمر ، ويطلب ببيان الحجة عليه أو قل يؤاخذ عليه»²⁵

وهناك مفهوم قريب من القول المضمّر وهو التلميح "allusion" و: «هو الاستدانة غير الحرفية المستترة، ويُمكن للتلميح أن يُرسل أيضاً إلى نص سابق دون أن يؤدّي إلى التنافر كما هو الحال في الاقتباس، ويكون التلميح، أحياناً، دلاليّاً، صرفاً دون أن يكون تناساً بالمعنى الحرفي للكلمة، و تلك حالة التلميح الجنسي في عبارة "لا يفكر إلا بهذا"، و يُرسل التلميح أحياناً إلى كوكبة نصوص، بدل الإشارة إلى نص محدد»²⁶. فالتلميح هو القول الخفي المضمّر في الخطاب.

2- القول المضمّر في رواية حلم على الضفاف:

1-2 أولاً عنوان الرواية: العنوان عنصر من عناصر الرواية، ويمثّل سلطة هامة في توجيه القارئ للوصول إلى مضمرة الخطاب وبالتالي تحديد مضمون الرواية وقصديتها، ويمثّل العنوان صفة إغرائية للمتلقي كونه يدفعه إلى المساءلة، ويلفت انتباهه إلى تأويلات مفتوحة

للدلالات المحتملة، فالعنوان يستفز القارئ ليتلمس ملامحه لما يحمله من طاقة إيحائية تدفع المتلقي إلى إجراء عمليات استنتاجية «إنَّ الإيحاء الدلالي الذي ينطوي عليه العنوان يعبر عن معنى تأطيري يشير من بعيد أو من قريب إلى الكون التخيلي للقصة»²⁷ فدلالة العنوان تحمل المفتاح الأول الذي يلج به القارئ إلى الخطاب ويقتم عوالم الرواية ومضامينها.

وفي عنوان الرواية "حلم على الضفاف" كلمة الضفاف معناها الحرفي يشير إلى ضفاف مدينة نورموندي على حدود انجلترا أي ساحل المدينة التي عاش فيها حسان عم البطة أحلام، أما معناها الضمني حلم على الضفاف فهو حلم ليس له أساس صلب متين؛ بل هو حلم على ضفاف الانهيار، حلم مآله الاندثار، حلم مهدد بالضياع. وهذا يجسده قول الكاتبة على لسان البطة أحلام في نهاية الرواية «...لم أكن أعلم أن كل ذلك الحلم الذي رسمه عمي حسان ينتهي خلال لحظات متقاربة ويكتب على كل تلك الأسرة كل الضياع وكل تلك الدموع»²⁸.

2-2 الفعل الكلامي: يسمى سيرل المعنى الضمني فعلا كلاميا غير مباشر للإشارة إلى الأقوال الملتبسة دلاليا، حيث يقول سيرل: «يوجد بعض المواقف (الحالات) التي يتمكن المتكلم من خلالها من قول جملة وهو لا يريد معناها الظاهر، ويدل ذلك على مقولة ذات محتوى إسنادي مغاير...»²⁹ حيث من الممكن أن «يراد بالأسلوب غير ما تلفظ به، فلا يؤدي الخبر الإفادة ولا الأمر طلب الفعل... إذ تأتي لتأدية أغراض ومعان لا يعبر عنها باللفظ، بل يفهمها المتلقي من السياق عن طريق إجراء عمليات ذهنية، والاستعمال هو الذي يميز القول الصريح عن الضمني»³⁰

وللفعل الكلامي دور في تحديد المقصد الكلي أو الفعل الإنجازي الشامل في النص الروائي، وهذا ما أكدّه فان دايك حين يقول: «إنَّ معنى الخطاب يرتبط ارتباطا وثيقا بفعل الكلام ... كما أن الاتفاقات المتواضع عليها تداوليا ومجتمعيا قد تُحدّد في ذات الوقت الاختيار السيمانطقي من بين المعلومات المعروضة... فعلى هذا فإن صياغة البنيات السيمانطقية تكون أيضا وظيفة لبنية تداولية كبرى، وتحدد القضية الكبرى للمحتوى المعين لفعل كلامي»³¹ حيث يرتبط الفعل الكلامي الشامل بالمقصد الرئيس للخطاب وفق علاقة تأثيرية، كونه يؤثر في تحديد بنية النص الدلالية الكبرى.

افتتحت الروائية خطابها بفعل كلامي شامل للقارئ حين ذكرت الفعل "تغرب" وهو فعل كلامي غير مباشر وهو فعل أمر لكن قوته الإنجازية نهي (لا تتغرب) أو تهديد بعواقب هذا الفعل (تغرب) وسترى ما سيحدث لك)، ومقصدية الكامنة دحض لآراء المتلقي الطامح إلى هذا الفعل (الغربة

والهجرة)، ودفعه إلى التغيير وهذا بحكم نتائج التغرب؛ حيث ربطت الكاتبة بين الغربة والموت ربطاً تشبيهيًا، فعقدت مماثلة مخاتلة تجمع بين صورتين متشابهتين أي التماثل بين غربة الجسد في الحياة وبقاء الروح متعلقة بالوطن تبكي الضياع والانسلاخ والتمزق والتشتت، وبين الموت فهو غربة كذلك لأن نهاية الموت تحلّل الجسم وتآكل جثته وبقاء الهيكل العظمي يبكي غربته ويحكي هجرته.

فالفعل التأثيري المقصود فيه هو جعل المتلقي يبتعد عن قرار التغرب، تريد الكاتبة دحض حججه وجعله يغير رأيه، فأحلام التغرب وطموحاته التي ظاهرها مشرق ومآلها وخيم بالنظر إلى النتائج التي ستحدث فيما بعد.

ثم بنّت الكاتبة خطابها الروائي في عرضها للأحداث والوقائع، بشكل يجعل القارئ يستنتج سلسلة من المقارنات:

2-3 المقارنة بين غربة أحلام وغربة عمها حسان:

شرحت الكاتبة خيبة آمل المغترب مهما كانت ظروفه ودوافعه؛ حيث ذكرت أسباب الغربة والهجرة مقارنةً بين غربة أحلام وغربة عمها حسان، فيستشف القارئ في الأخير مقصديتها الكامنة فقد ذكرت الكاتبة الأحداث وصيرتها أسباباً ونتائج مخاطبةً عقل القارئ وعواطفه ابتغاء إقناعه وتوجيهه.

فبالنسبة للبطلة أحلام: هي سافرت بأحلام تغمر المغترب وهي الإعجاب والانبهار بجمال باريس البديع ومناظرها الخلابة وطرقاتها ومدنها... بثقافة أهلها بالحرية التي تشمل أفرادها. لتبين الكاتبة فيما بعد هذه المغالطات التي كانت تعيشها، فقد خاب أملها وأحست بوحشة بين أهلها، وما يعايشونه من ضياع وانسلاخ..

أما عمها حسان فقد تغرّب بسبب الهروب من الواقع المرير المتمثل في القضاء على حلمه بعد وفاة حبيبته أم السعد (التي ترمز إلى السعادة والطهر والعفة والحياء والشرف والوطن)، التي اغتيلت يوم زفافها، برصاصة طائشة من المستعمر، وربطت الكاتبة تاريخ وفاتها باندلاع الثورة التحريرية 1954 وهو ربط مقصود، فبدل أن يبقى في وطنه ليدافع عن كرامته ويتجند مع أقرانه للحصول على الحرية، قرر الهروب إلى منطقة لا يشم فيها رائحة الدم، فهاجر إلى بلد عدوه؛ وثمة تكمن المفارقة! «هربت من نفسي من أهلي من وطني الذي افتقدته إلى الأبد لأنني لم أفعل شيئاً لأجله ومن أجله»³².

لكن في الحقيقة أحلام المغترب تخالف أفق انتظاره وتتحول في النهاية إلى ضياع ودموع نظرا لنتائج الأحداث المتلاحقة التي سيسفر عنها التغرب فلا ينفذ حينها لا الحسرة ولا الندم: فحين قرر حسان العودة إلى أرض الوطن بعد ميلاد ابنته نورة يوم استقلال الجزائر أحس بالغربة بين أهل دشرته الذين أشاروا له بأصابع الاتهام، فلم يجد مكانه بينهم فأصابه الحزن وقرر الهروب مرة ثانية والعودة من حيث جاء فلا تنتهي عنده سلسلة الندم والخيبات بعد الاغتيالات(اغتيال أم السعد/اغتيال الهوية والشخصية و اغتيال اللغة...) وافتقاده إلى الإيمان العميق (نظرا لسلوكاته الغربية التي لا تمت لأصله ودينه بصلة(شرب الخمر، وعدم القدرة على إصلاح الأمور) والإحساس بالتعاسة والحزن والوحشة والضياع والانسلاخ والتمزق والتشتت والصراع العرقي ضياع الهوية...

فالكاتبة تعرض الأسباب وتعطينا النتائج لإقناع الشاب الجزائري بالعدول عن رأيه والتمسك بوطنه وعدم التخلي عن مقوماته وشخصيته ودينه.

4-2 المقارنة بين الغرب والعرب: رأت الكاتبة بأن الغربيين نظرا لافتقادهم الإيمان العميق يشعرون بالضعف اتجاه الحياة وهزاتها فتجعلهم يقررون الانتحار ، أما في الوطن فحين تلقنا غيوم الحزن نتغلب عليه بالحزم والتروي والإيمان.

ففي أثناء انبهار البطلة أحلام بجمال باريس ومدنها ومناظرها الطبيعية، تخبرها امرأة فرنسية عن سبب حزنها وهو انتحار أختها فتقول «نحن في بلد نفتقد فيه إلى شيء في أرواحنا نجعله تماما مما يجعلنا نحس بالضعف تجاه الحياة وهزاتها»³³ والشيء الذي تجهله هو الافتقاد إلى الإيمان العميق، فجاء لأحلام الاعتراف بالفراغ الروحي من لدن الآخر من طرف امرأة فرنسية.

5-2 المقارنة بين اليهود والجزائريين: تقول البطلة أحلام«فرغم افتقاد صامويل وأقرانه إلى وطن يلهمهم بالحنين إلى تربته رغم ذلك التشتت الرهيب الذي جعلهم يهيمنون في جميع بقاع العالم، إلا أنهم استطاعوا أن يحافظوا على ذلك الانتماء لأنهم يدركون أن الانتماء هو الوطن الحقيقي، عكس عمي حسان الذي هجر الوطن وما يحمله الوطن»³⁴ فاليهود يفتقدون إلى وطن يجمعهم ورغم التشتت حافظوا على الانتماء، أما عمها حسان فقد هجر الوطن وما يحمله الوطن والأقوال المضمرة التي لم تصرح بها الكتابة هي (ما يتضمنه الوطن من الدين والأخلاق، والقيم، والتربية...)

6-2 المقارنة بين الحرية واللا حرية (مفهوم الحرية الحقيقية والحرية المزيفة)

أحلام حين ناداها عمها بالحرّة كانت تشعر بالمفارقة تقول «كنت أظن أن بناته هن اللواتي يمارسن طقوس الحريات بينما أنا فقد جئت من بلد كلاسيكي يؤمن بالعبادات والتقاليد والأحكام والقيم كل تلك الضوابط التي تحكم شخصيتنا الجزائرية»³⁵ فهي تظن أن الفتاة الجزائرية حرّيتها جد مضبوطة بسبب الضوابط والقيم التي تحكم الشخصية الجزائرية، فلم يكن يسمح للفتاة أن تتعلم وهذا بسبب «الإبادة الفكرية التي مارسها شيوخ الدشرة على جميع الفتيات في تلك المنطقة»³⁶ وهذه مغالطة حاجية خاطئة بالنظر إلى النتائج: فقد كانت تظن أن بناته هن اللواتي يمارسن طقوس الحرية، الحرية/اللاحرية

لتكتشف فيما بعد أن نتائج الغربة حسرة عمها حسان وندمه على وضع بناته لأن نتائج الحرية: الاستهتار عدم المبالاة بالأخلاق والقيم والانسلاخ عن الدين عن الهوية "فغش من ضياع إلى ضياع"...

تهجّم ابنة عمها نورة على النبي محمد صلى الله عليه وسلم، وندم أحلام لكونها لم تستطع الدفاع عن النبي) «...فقررت أن أتوغل في قصة محمد صلى الله عليه وسلم وأتناولها من كل جوانبها التاريخية والحياتية... فكيف أسافر وأتغرب إلى المدن البعيدة وأنا أجاهل مدى ما تحمله رثتي...»³⁷. فهي لا تملك العدة الفكرية التي تجادل بها ابنة عمها لتدحض رأيها ولتقنعها بحقيقة الدين الإسلامي الذي تعنتقه.

فيستنتج القارئ أن معتقد حسان المغترب حول الإبادة الفكرية لشيوخ القرية هو مغالطة حاجية خاطئة لأنها في حقيقة الأمر حفاظ على القيم والدين وضبط للأخلاق التي تحكم الشخصية والهوية الجزائرية.

2-7 نتائج الغربة :

عمها المتغرب الرجل الضعيف لا يتدخل في حياة بناته بسبب القانون الفرنسي، فلم يستطع الحفاظ على بناته.

ابنة عمها نورة المنبهرة بشخصية اليهودي وأخلاقه ولباقتة (وحبه المزيف) الذي «استطاع أن يجردّها من العروبة ويزرع داخلها العبرية»³⁸ ، لكن أحلام عجزت عن الكلام عن مدى بشاعة اليهود وحقدهم الدفين على العرب ... وعن إقناع نورة بالعدول عن رأيها.

وبعد توالي الأحداث أطمأ اليهودي عن وجهه الحقيقي وتحول ذلك الحب الذي جمعها إلى شتات بعد انفجار الفجوة التي كانت بينهما فالعلاقة «التي كانت تجمع بين غريبين مشتتين...»

رماني بالعربية القذرة... بعفن العروبة تجمدت مكاني ولم أنبس بكلمة واحدة بل حدة الصراع بيني وبينه ازدادت توسعا وتمزقا ليغرق داخل الأوحال، ذلك النتوء القوي الهجين بين الجزائر ونورموندي وصاموئيل».³⁹ فقد أصابتها الصدمة والذهول فأحست بالحسرة والضياع والانسلاخ...

وحين أرادت إقناعه أنها بربرية وليست عربية قذفها بالخيانة الروحية لكونها انسلخت عن هويتها «راح يقذفني بالتشتت... بالخيانة الروحية.. بالوضيعة التي تنسلخ عن هويتها لتخلق فرعا آخر لم تعترف به يوما الإنسانية»⁴⁰ فاكتشفت لوحدها وبتجربتها الخاصة عمق الصراع العرقي بينهما، واعتقاداتها الخاطئة.

ابنة عمها فريدة المستهترة غير المبالية بالأخلاق « التي عاشت غريبة وماتت غريبة على أرض غريبة وبلد غريب»⁴¹، وتكرار مفردة غريبة له ما يبرره فهي تبين أن الغربة هي سبب الاستهتار وعدم المبالاة بالأخلاق حيث تجمعها علاقة حاجية استنتاجية كامنة في ثنايا الخطاب. وابنة عمها ليلي عاشت تمزقا رهيبا، اختارت حياتها الخاصة وعاشت في أحضان إنسان من ضياع إلى ضياع.

فهذه نهاية الحرية المزعومة التي تعيشها بنات عمها.

2-8 ضياع اللغة وفقدان الهوية: ذكرت الكاتبة في أكثر من موضع اغتيال اللغة العربية

وضياعها في سياقات مختلفة يمكن للقارئ أن يجمع بين هذه السياقات ليستنتج المقصود، فحين بدأ العم حسان يسرد لها تفاصيل من طفولته في دشرته واد أغير ببجاية ذاكرا أنّ الحياة كانت جميلة برغم العناء مسترجعا ذكرياته... كانت اللغة العربية صعبه الفهم والنطق بالنسبة إلينا وأخبرها أنه لم يكن يسمح للفتاة أن تتعلم في الكتاب آنذاك تحت اسم العادات والتقاليد فصار يحقد على العشيرة...⁴² لكن سبب ضياع اللغة كذلك يعود للمستعمر الذي حارب اللغة العربية، للقضاء على الهوية الوطنية ووضع قانونا يمنع تعلمها في الجزائر...

وفي سياق آخر حينما التقت أحلام بزوجة عمها ماري، نادتها "أهلام"، فأحست أنّ اسمها قد اغتيل، وفقد هويته، فهل تُرى عمُّها المغترب تأقلم مع هذه الاغتيالات المتتالية...⁴³

رفضت أحلام تلك الغربة وواقعتها المرير وقرّرت العودة إلى الوطن، تقول «قررت العودة إلى وطني إلى قريتي إلى تربة رواها كبرياء أم السعد وشموخها، اشتقت إلى رائحة كل الذين تركتهم

وراء البحر»⁴⁴ بعد التجربة التي مرت بها في الغربية وما عايشته من عذاب ومعاناة تستوجب الرحيل ...

3. خاتمة: نستنتج من تحليل الرواية أهم المضمرات القولية الكامنة في ثناياها ما يلي:

- عقدت الروائية سلسلة من المقارنات لبناء خطابها الإقناعي بطريقة مضمرة أثناء سرد الوقائع والأحداث، قصد دحض آراء الشباب المولع بالهجرة.

- تغيير رأي المتلقي حول قرار الهجرة مهما كان السبب والدافع، لما في الغربية من مساوئ لا يمكن حصرها، فمن نتائجها الخيبة والضياع (الدين و الأخلاق واللغة ...) والانسلاخ عن الهوية والشخصية الوطنية.

- دعوة الشباب الجزائري إلى التلاحم والتوحد والانتماء إلى الوطن، والنظر بحكمة إلى المقارنة التي عقدتها الكاتبة بين اليهود والعرب؛ فاليهود يفتقدون إلى وطن يجمعهم ورغم التشتت حافظوا على الانتماء، أما العرب فيهجرون الوطن وما يحمله من دين وأخلاق، وقيم، وتربية...

- دعوتهم إلى التمسك باللغة والدين والإيمان العميق.

- دعوتهم إلى التكوين المعرفي الديني تكوينا عميقا يسمح لهم بالدفاع عن دينهم ونبئهم قبل اتخاذ قرار الهجرة.

- عدم الانخداع بالمظاهر الغربية ومصطلحاتها الهدامة (الحرية المزيفة، الأخلاق، الثقافة...) وتذكر الصراعات العرقية والحقد الدفين.

4. قائمة المراجع:

- ابن منظور الإفريقي: لسان العرب، دار صادر بيروت مج3
- أحمد ابن فارس : مقاييس اللغة، تح عبد السلام هارون، دار الفكر 1989 ج3.
- تيفين ساميول: التناسل ذاكرة الأدب، ترجمة نجيب غزاوي، منشورات الكتاب العربي، دمشق، 2007م.
- جار الله الزمخشري: أساس البلاغة: تح محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية بيروت لبنان، ط1، 1419، 1998، ج1، ص586 مادة ضمير.
- جورج براون، جورج يول: تحليل الخطاب، ترجمة محمد الزليطي و منير التركي، جامعة الملك سعود، الرياض، 1997م.
- جورج يول : التداولية تر قصي العتابي ، دار الأمان الرباط ط1، 1431هـ، 2010 .
- الجليلي دلاش: مدخل إلى اللسانيات التداولية، ديوان المطبوعات الجامعية، الساحة المركزية بن عكنون - الجزائر، 1992.
- حسيبة موساوي: حلم على الضفاف، دار الروائع للنشر والتوزيع، ط2، الجزائر 2013

- خديجة بوخشة: حجاجية الحكمة في الشعر الجزائري الحديث، الدار الجزائرية للنشر، الجزائر 2015.
- ذهيبية حمو الحاج: قضايا التداولية والخطاب، دار كنوز المعرفة ط1، الاردن 2016 ص216.
- طه عبد الرحمن : الإضمار في الدليل : مجلة المناظرة مجلة فصلية تُعنى بالمفاهيم والمناهج الفلسفية ، ع4-1991 الرباط، المغرب .
- عبد السلام عشير: عندما نتواصل نتغير (مقاربة تداولية معرفية آليات التواصل و الحجاج)، إفريقيا شرق، المغرب.
- عمر بلخير: تحليل الخطاب المسرحي في ضوء النظرية التداولية، دار الأمل ، تيزي وزو ، الجزائر ط2، دت.
- فرانسوا أرمينكو : المقاربة التداولية، ترجمة سعيد علوش، مركز الأنماط القومي، بيروت.
- كاترين كيربرات اوركيوني: المضمّر / تر ، ريتا خاطر ، جوزيف شريم المنظمة العربية للترجمة ، بيروت لبنان ط1، 2008.
- محمود طلحة: تداولية الخطاب السردى دراسة تحليلية في وحي القلم للرافعي ، (2012)عالم الكتب الحديث إربد، عمان الأردن.
- مسعود صحراوي: التداولية عند علماء العرب ، (دراسة تداولية لظاهرة الأفعال الكلامية في التراث اللساني العربي)، دار الطليعة للطباعة و النشر، بيروت، لبنان، ط1، 2005.

- Dubois Jean (2015) et des autres : le dictionnaire de linguistique, Larousse Paris 2éme éditions
- J. Searle(1972) : sens et expression, tradiction : Joëlle Proust, Edition de Minuit, Paris
- Jacque Moescheler Anne Reboul: Dictionnaire Encyclopédique de pragmatique Edition Seuil 1994

5. هوامش البحث:

- ¹ Dubois Jean (2015) et des autres : le dictionnaire de linguistique, Larousse Paris 2éme éditions P.375.
- ² ابن فارس : مقاييس اللغة ، ج3، ص37، مادة ضمن
- ³ ابن منظور الإفريقي: لسان العرب، دار صادر بيروت مج13 ص257.258 مادة ضمن
- ⁴ مسعود صحراوي: التداولية عند علماء العرب ، (دراسة تداولية لظاهرة الأفعال الكلامية في التراث اللساني العربي)، دار الطليعة للطباعة و النشر، بيروت، لبنان، ط1، 2005، ص60.ص30.
- ⁵ نفسه، ص32.
- ⁶ محمود طلحة: تداولية الخطاب السردى دراسة تحليلية في وحي القلم للرافعي ، (2012)عالم الكتب الحديث إربد، عمان الأردن، ص41.
- ⁷ - عبد السلام عشير: عندما نتواصل نتغير (مقاربة تداولية معرفية آليات التواصل و الحجاج)، إفريقيا شرق، المغرب، ص 46.

- 8 عبد السلام عشير: عندما نتواصل نغير ، ص45.46.
- 9 - عبد السلام عشير، المرجع نفسه، ص 52.
- 10 - جورج براون جورج يول: تحليل الخطاب، ترجمة محمد الزليطي و منير التركي، جامعة الملك سعود، الرياض، 1997م، ص 96.
- 11 - فرانسوا أرمينكو : المقاربة التداولية، ترجمة سعيد علوش، مركز الأنماط القومي، بيروت، ص 61.
- 12 Jacque Moescheler Anne Reboul: Dictionnaire Encyclopédique de pragmatique Edition Seuil 1994, p.202
- 13 - عمر بلخير: تحليل الخطاب المسرحي في ضوء النظرية التداولية، دار الأمل ، تيزي وزو ، الجزائر ط2، دت ص 113.
- 14 جورج يول : التداولية تر قصي العتابي ، دار الأمان الرباط ط1، 1431هـ، 2010 ص51.
- 15 مسعود صحراوي، التداولية عند العلماء العرب (دراسة تداولية لظاهرة الأفعال الكلامية في التراث اللساني العربي)، ص31.
- 16 - الجيلالي دلاش: مدخل إلى اللسانيات التداولية، ديوان المطبوعات الجامعية، الساحة المركزية بن عكنون - الجزائر، 1992، ص34
- 17 كاترين كيربرات اوركيوني: المضمّر / تر ، ريتا خاطر ، جوزيف شريم المنظمة العربية للترجمة ، بيروت لبنان ط1، 2008، ص48.
- 18 الزمخشري: أساس البلاغة: تح محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية بيروت لبنان ، ط1، 1419، 1998، ج1، ص586 مادة ضمير.
- 19 ابن منظور لسان العرب، دار صادر بيروت ، لبنان مجلد 4 ص491.492 مادة ضمير.
- 20 - مسعود صحراوي، التداولية عند العلماء العرب (دراسة تداولية لظاهرة الأفعال الكلامية في التراث اللساني العربي)، ص 32.
- 21 - عمر بلخير، تحليل الخطاب المسرحي في ضوء النظرية التداولية، ص 115.
- 22 - عمر بلخير، تحليل الخطاب المسرحي في ضوء النظرية التداولية، ص 116.
- 23 - جورج براون (g. bourwan) و جورج يول (gorge. youl)، تحليل الخطاب، ترجمة محمد الزليطي و منير التركي، ص 32.
- 24 - ينظر: عمر بلخير، تحليل الخطاب المسرحي في ضوء النظرية التداولية، ص118.
- 25 طه عبد الرحمن : الإضمار في الدليل : مجلة المناظرة مجلة فصلية تُعنى بالمفاهيم والمناهج الفلسفية ، 4ع-1991 الرباط، المغرب ، ص44.
- 26 - تيفين ساميول: التناص ذاكرة الأدب، ترجمة نجيب غزاوي، منشورات الكتاب العربي، دمشق، 2007م، ص32.
- 27 ذهبية حمو الحاج: قضايا التداولية والخطاب، دار كنوز المعرفة ط1، الاردن 2016 ص216.
- 28 حسيبة موساوي: حلم على الضفاف، دار الروائع للنشر والتوزيع، ط2، الجزائر 2013 ص110
- 29 J. Searle(1972) : sens et expression, tradiction : Joëlle Proust, Edition de Minuit, Paris P 71.
- 30 خديجة بوخشة: حجاجية الحكمة في الشعر الجزائري الحديث، الدار الجزائرية للنشر، الجزائر 2015، ص249.
- 31 فان دايك: النص والسياق : استقصاء البحث في الخطاب الدلالي والتداولي ص323-324.
- 32 حلم على الضفاف ص53.
- 33 حلم على الضفاف ص11.
- 34 حلم على الضفاف ص105.
- 35 حلم على الضفاف ص30
- 36 حلم على الضفاف ص54.
- 37 حلم على الضفاف ص99

- 38 حلم على الضفاف ص106.
39 حلم على الضفاف ص124-125.
40 حلم على الضفاف ص125.
41 حلم على الضفاف ص122
42 ينظر حلم على الضفاف ص39-41
43 ينظر حلم على الضفاف ص29
44 حلم على الضفاف ص107.